DOI: 10.33193/JALHSS.56.2020.156
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (56) August 2020
العدد (56) أغسطس 2020

غبار 1918 ما بين الرّواية والتّاريخ

د. ريما أمهز
لبنان
الايميل: rimaamhaz1980@gmail.com

الملخّص
إنّ الحديث عن التّفاعل بين التّاريخ والإبداع، هو في أبعاده حديث عن الرّواية كجنس تعبيريّ جماليّ تعامل مع التّاريخ تعاملًا مكثّفًا ومتميّزًا، كشفته تلك الكتابات السّردية المعاصرة الّتي حاولت قراءة الرّاهن العربي قراءة تاريخيّة تعيد تركيب قدرات فهم الحاضر ضمن أحداث الماضي، وعليه أصبح الاشتغال على محور التّاريخ هاجسًا معرفيًّا لدى كتاب الرّواية المعاصرين. من هنا جاء هذا البحث للوقوف على إشكاليّة قراءة التّاريخ في رواية "غبار 1918" للدّكتورة فاتن المرّ، حيث وجدنا أنّ الكاتبة استطاعت أن تتخلّص من عقدة الفنّ الخالص، وأن تشيّد عالمًا روائيًّا قائمًا على اتّخاذ التّاريخ مادّة للسّرد، وإعمال الخيال في تقديم المادّة التّاريخية، فنجحت في استرجاع التّاريخ، وقراءة الماضي بشيء من التّميّز والفرادة، وانتقلت إلى فضاءات إبداعيّة أحدثت فيها الرّواية نقلة جماليّة وفكريّة التقت فيها الرّواية بالتّاريخ .

الكلمات المفتاحيّة: رواية، تاريخ، زمن، تفاعل، خلق، رؤيا.

The Dust of 1918 between Novel and History

Dr. Rima Amhaz
Lebanon
Email: rimaamhaz1980@gmail.com

ABSTRACT
The talk about the interaction between history and creativity, in it's dimensions, is a talk about the novel as an aesthetic and expressive sort that has dealt with history intensively and distinctively. It was revealed by those contemporary narrative writings that tried to read the current Arabic historically in order to readjust the capabilities of understanding the present within the events of the past. Therefore, working on the axis of history became a cognitive obsession for contemporary writers. Hence, this research came to find out the problem of reading history in the novel "The Dust of 1918",written by Doctor Fatin Al Mor. Where we found that the writer was able to get rid of the complexity of pure art, as well as to construct a narrative world based on taking history as a narration. In addition to that, she works on devoting imagination in presenting the historical subject. Thus she has been succeeded in retrieving history and reading past with some distinction and uniqueness. Furthermore, she moved to creative spaces in which the novel made an aesthetic and intellectual shift in which the novel met history.
Keywords: novel, history, time, interaction, creation, vision.

DOI: 10.33193/JALHSS.56.2020.156
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (56) August 2020
العدد (56) أغسطس 2020

مقدّمة:

ما من إنجاز أدبي وجماليّ إلّا وله مدارات تاريخيّة يتحرّك على منوالها، كون الإبداع بصفة عامّة هو ممارسة ذاتيّة مقذوفة في أشكال الزّمن.

والحديث عن التّفاعل بين التّاريخ والأدب، هو في أبعاده حديث عن الرّواية كجنس تعبيريّ جماليّ، تعامل مع التّاريخ تعاملًا مكثّفا ومتميّزا، كشفته تلك الكتابات السّرديّة المعاصرة، الّتي حاولت قراءة الرّاهن العربيّ قراءة تاريخيّة، تعيد تركيب قدرات فهم الحاضر، ضمن أحداث الماضي، وعليه أصبح الاشتغال على محور التّاريخ هاجسًا معرفيّا لدى كتّاب الرّواية المعاصرين (عبد الرّزاق بن دحمان،2013، ص 6).

فالمعرفة التّاريخية، أصبحت مكوّنا جوهريّا وحسّاسًا من مكوّنات الإبداع داخل بنية الرّواية العربيّة الحديثة، ولكنّ الأسئلة الّتي تطرح نفسها بإلحاح في هذا المجال هي: هل يمكن فعلا قراءة التّاريخ في الرّواية؟ وهل تستطيع الرّواية بكلّ مكوّناتها أن تنقل صورة واقعيّة أوفى ممّا ذكرته الوقائع أو الكتابات التّاريخية العائدة لتلك الحقبة، بحيث تصير بديلًا من التّأريخ أو محض وثيقة دالّة دلالة تامّة على تلك الوقائع؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة لا بدّ من تعريف الرّواية التّاريخيّة، وشرح وتحليل بعض التّحديدات والمواصفات سنقتصرها في هذا البحث على استظهار فكرة الزّمن في بعده الوجودي والفلسفي، كونه أداة حاسمة في تشكيل الرّؤية التّاريخية لدى الرّوائي.

المبحث الأوّل: الرّواية التّاريخيّة: لمحة عن نشأتها وتطوّرها

يعرف النّقاد الرّواية أنّها: "قصة خياليّة ذات طابع تاريخيّ عميق "(محمّد رياض وتار، 2002، ص 103)، وهذا ممّا يدلّ على العلاقة الوطيدة الرّابطة بين التّاريخ والرّواية، وتنبع هذه العلاقة من القوة الكابحة للسّرد، وهي تشدّه إلى قيد حقيقة التّاريخ وموضوعيّته، إن من منظور الفلسفة، وإن من منظور العلم. ولكنّ الخيال توّاق بالتّرحال إلى مناطق التّاريخ الملغمة والرّاغب في العبور إلى جيوبه المظلمة، وكذا استنطاق ما لا يحمد السّؤال حوله سواء أتعلّق الأمر بالذّات أم بالجماعة، وتتجلّى هذه العلاقة من طبيعة الفنّ الرّوائي نفسه الّذي يقوم على تصوير الواقع تصويرًا فنّيا تخييليًا.

ويعرّف "جورج لوكاتش" الرّواية التّاريخيّة بأنّها "رواية تاريخية حقيقية، أي رواية تثير الحاضر، ويعيشها المعاصرون بوصفها تاريخهم السّابق للذات" (جورج لوكاتش، 1986، ص89) فهي بالتّالي "عمل فنّي يتّخذ من التّاريخ مادّة له، ولكنّها لا تنقل التّاريخ بحرفيّته، بقدر ما تصوّر رؤية الفنّان له وتوظيفه لهذه الرّؤية للتّعبير عن تجربة من تجاربه، أوموقف من مجتمعه يتّخذ من التّاريخ ذريعة له" (عبد الحميد القط، 1981، ص33).

ويرى أنّ المعرفة التّاريخيّة ضروريّة في حياة الكاتب، فلا ينجح الرّوائيّ في عمله دون أن يرسم بعدًا تاريخيًّا لعمله الإبداعيّ يمكّنه من وضع رؤية مستقبليّة لنصّه الرّوائيّ، ولن يتاح هذا حتّى يدرك الكاتب الوضعيّة التّاريخيّة لروح العصر، من خلال تفاعل الذّات مع سلسلة التّغيّرات الاجتماعيّة والسّياسيّة الّتي تكشف عن طبيعة الأفراد والمجتمعات...

ويقول: "المهمّ في محتوى الأعمال الفنّيّة بصفة عامّة أن نجد محتواها التّصنيفي عبر مفاهيم الحقيقة التّاريخيّة المجسّدة في الواقع" (جورج لوكاتش، 1986، ص 56).

والرّواية التّاريّخيّة هي منطقة وسطى بين التّاريخ والأدب يؤلّف بينهما أن كلًّا منهما خطاب سرديّ، إلّا أنّ "التّاريخ خطاب نفعيّ يسعى إلى الكشف عن القوانين المتحكّمة في تتابع الوقائع، في حين أنّ الأدب والرّواية على وجه الخصوص، خطاب جماليّ تقدّم فيه الوظيفة الإنشائيّة على الوظيفة المرجعيّة" (محمّد القاضي، 2008، ص، 23-24).

ومبدئيا، يجب أن ندرك أنّ الرّواية التّاريخية تستمدّ أحداثها من التّاريخ، بل شخصيّاتها أيضًا، فهي "تنبني حكائيّا على التّاريخ وتقتات عليه، وتتشكّل منه وتضيف عليه وتختزل منه وتتصرّف فيه، ولكنّها ليست تاريخًا (نضال الشمالي، 2006، ص107) ، فالـرّواية كيان مـستقلّ وهي عبارة عن فنّ، ويجب أن تقرأ على هذا الأساس (ماضي، شكري، 2013، ص: 149)، ويجب أن يتعامل معها القارئ وفق هذا المنطق.

وإذا كانت الرّواية التّاريخية ترى في التّاريخ المنبع الثريّ، والمعين الّذي لا ينضب في تدعيم الرّوائي "بالمادّة الحكائيّة الّتي يشكّلها المبنى" (نضال الشمالي، 2006، ص 109)، وهذا ما يجعلها "ممتلكة لخطاب يعتمد تجربة التّخييل، ويقيم – رغم ذلك – علاقة يريدها حقيقيّة مع التاريخ، فيغدو موضوع التّخييل هو التّاريخ" (عبد الفتاح الحجمري، 1997، ص، 62)، أي التّاريخ الّذي يمتلك مراجع وموضوعًا وواقعًا محدّدا سلفًا.

DOI: 10.33193/JALHSS.56.2020.156
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (56) August 2020
العدد (56) أغسطس 2020

ويعتبر النّقّاد أنّ الرّواية التّاريخيّة بمعناها الاصطلاحي لم تظهر في الغرب إلّا في مطلع القرن التّاسع عشر مع "والتر سكوت" الّذي وفّق في الجمع بين الشّخصيّات الواقعيّة والشّخصيّات المتخيّلة، وأحلّها في إطار واقعيّ، وجعلها تتحرّك في ضوء أحداث كبرى اعتبرتها المصادر مفاصل أساسيّة في مسار الأمم والدّول. وقد تزامن ظهور الرّواية التّاريخيّة مع الحركة الرّومنسيّة الّتي احتفل أصحابها بالبطولات القوميّة وسعوا إلى إبرازها متوسّلين بها إلى إحياء روح الشّعب وإنعاشها . وقد ذكر "سكوت" في مقدمة روايته "إيفانوي" أنّه "بفضل تصويره المتخيّل يستطيع أن يمدّ يد المساعدة إلى المؤرّخ الّذي يخضع لمصادفات الوقائع" (Pierre- Louis Rey,1992,p 17).

ولقد تنبّه الدّارسون منذ وقت مبكر إلى أنّ الرّواية التّاريخيّة مهما سعت إلى التّوغّل في الماضي تظلّ على صلة بالحاضر ولا يمكنها أن تتملّص منه. وقد نظر الأخوان " قونكور" في إطار المدرسة الواقعيّة إلى المسألة من زاوية التّتابع، فوجدا أنّ الرّوائي هو مؤرّخ الحاضر، وميّزا بين المؤرّخ والرّوائي بحسب الزّمن الّذي يرتبط به كلّ منهما، فقالا:"إنّ التّاريخ هو رواية ماكان، والرّواية تاريخ ما كان يمكن أن يكون" (Pierre- Louis Rey,1992,p 17).

وقد رأى "جورج لوكاتش" في كتابه "الرّواية التّاريخيّة" أنّ كاتب الرّواية التّاريخيّة لا يلتفت إلى الماضي إلّا من خلال قضايا حاضره، "وقد أخذ "لوكاتش" من "هيجل" فكرة "المفارقة التّاريخيّة الضّروريّة"، وأدرجها في سياق المادّة الجدليّة، فتمّ له بذلك أن يقول إنّ الرّواية لا تكون تاريخيّة إلّا إذا حملت من زمن كتابتها مشاغله الأساسيّة وقضاياه الرّاهنة" (محمّد القاضي، 2008، ص 27).

لقد كشفت هذه الإشارات السّريعة عن أهمّيّة هذا النّوع الادبي في الأدب الغربي، وهي أهمّيّة تضيء لنا بعض جوانب الرّواية التّاريخيّة في الأدب العربي، وإن كان يتعيّن علينا أن نأخذ في الاعتبار خصوصيّة الرّواية التّاريخيّة العربيّة، وأن نقف على ما تتميّز به حتّى نستجلي مدى إسهامها في تطوير هذا الفنّ، ومدى إفادتها من المجال الثّقافي العربي.

فعندما نبحث عن نشأة الرّواية العربيّة بشكل عامّ، لا بدّ أن نقرنها بالرّواية التّاريخيّة، فقد ذهب بعض الدّارسين إلى أنّ التّاريخ المقدّم في صورة روائيّة لم ينتظر القرنين التّاسع عشر والعشرين ليثبت وجوده في الأدب العربي؛ لأنّ الأصول الأولى لفنّ القصّ العربي جاءنا أغلبه بنكهة تاريخيّة، بداية من أساطير الأوّلين الّتي جاء ذكرها في القرآن الكريم، ومرورًا بالقصص الإسلامي، وكتب السّير عن حياة الرّسول (ص)، وقصص الحبّ العذري في العصر الأمويّ، وبعدها حركة التّدوين والتّجميع، والقصص التّاريخيّة الّتي وجدناها في "الأغاني" و"الأمالي" و"العقد الفريد"، وانتهاء بالسّير الشّعبيّة مثل روايات "عنترة"، و"سيف بن ذي يزن"، و"بني هلال" و"بيبرس"، وتوالى بعد ذلك ظهور الرّوايات التّاريخيّة، وتطوّرت فنّيّاتها وأساليبها على يد روائيّين عظام أمثال: "فريد أبو حديد"، و"علي أحمد باكثير"، و"علي الجارم"، و"نجيب محفوظ"، و "السّحّار" وغيرهم.

وفي مرحلة زمنيّة سيطرت عليها الحيرة، وغلب عليها القلق، وتراجعت فيها القيم والرّموز العربيّة بدأت الرّواية العربيّة الحديثة رحلتها، فأعادت ربط التّفكير السّيكولوجي والإجتماعي بعلائق فرديّة متينة أسّست للفرد والجماعة.

وإذا بحثنا في أصل الرّواية العربيّة الّتي كثر فيها الجدل وجدنا أنّ هناك من أرجع فنّ القصّ العربي إلى أصول غربيّة، وقال إنّ الرّواية العربيّة هي نتاج حركة التّرجمة عن الغرب، وعلى رأس هؤلاء "ميخائيل نعيمة" و"أحمد أمين" و"سيزا قاسم" الّتي صدّرت كتابها " بناء الرّواية العربيّة" بتقرير مفاده أنّه "من الحقائق المسلّم بها في الأدب العربي الحديث في مصر أنّ فنّ الرّواية قام تحت تأثير الآداب الغربيّة، وهذه المقولة لا جدال فيها، وأنّ هذا الفنّ لا وجود له قبل اتّصال العرب بالحضارة الغربيّة" (سيزا قاسم، 1984، ص 16). وهذا الحكم الّذي أطلقته "سيزا قاسم" لا يزيد كثيرًا عن الأقوال السّابقة لنقّاد عصر الافتتان بالغرب، وكأنّ الفنّ والأدب آلة نستوردها، ونستفيد منها مباشرة دونما تمهيد، وكأنّي بهم قد نسوا أو تناسوا أنّ الأدب لا ينشأ من فراغ ، وأنّ أدب الرّواية ذو طبيعة تراكميّة يحتاج إلى عصور طويلة للتّطوّر والنّماء، وأنّ الرّوائي أكثر من أي أديب هو ابن بيئته وابن ذاكرته قبل كلّ شيء.

DOI: 10.33193/JALHSS.56.2020.156
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (56) August 2020
العدد (56) أغسطس 2020

المبحث الثاني: الزّمن في بعده الوجودي

الرّواية في بعدها المعرفي هي صورة الحياة كما تتمثلها قدرات التّخييل، ومدارك التّصورات، لهذا "فإنّها تنقاد بالقوّة إلى استعارة شكلها من تقطيع متميّز ومخصوص لأبعاد الواقع ومستوياته المختلفة" (عبد اللطيف محفوظ،2006 ، ص 14)، وهذا يعني أنّ الواقع الّذي تحايثه الرّواية هو شكل متميّز بخصوصيّة فلسفيّة لصورة واقع آخر تغطّيه عوالم من الضّلال والأوهام، فالرّواية لا تنتج إلّا بتراكب التّفكير الجمالي بالحياة، وهي لا تقول الحقيقة، إلّا داخل دائرة الزّمن (عبد الرّزاق بن دحمان،2013، ص27).

والرّواية "تماثل التّاريخ عندما توجّه بدورها إلى أحداث الماضي وهي تفتّش فيها عن أنوية الفعل الزّمني وعن سيرورات أخرى يمكن أن نعتبر الزّمان هذه المرّة محمولًا على ظهرها لأنّها جزء فاعل ومؤثّر في توجيه مساراته (عبد السلام أقامون، 2010، ص 61).

ويتشكّل الزّمن داخل العمل الرّوائي ضمن استراتيجيّات ومواقع ذات دلالات إيحائيّة وشعريّة، يمرّر الرّوائي من خلالها حالات شعوريّة تعيد النّظر في الواقع والحياة، ولا شكّ أنّ الرّواية المشتغلة على التّاريخ لها وقعها المتميّز والخاصّ في الإمساك بعنصر الزمن، الّذي يعد معلما حيويًّا في إنتاج النّصّ السّردي ذي الأبعاد التّاريخيّة والمعرفيّة، فما يؤسّس عالم الكتابة هو تجربة النّصّ الزّمنيّة، بمعنى دخول فضاء الزّمن في متاهات تاريخيّة تجمع بدورها عناصر هامّة تجعل الزّمن زمنًا متشظّيًا متوزّعًا على مدارات وأنحاء، يصعب فكّها أو فهمها " لأنّ تجربة الزّمن تؤخذ أوّلًا كتجربة متخيّلة على اعتبار أنّ أفقها هو العالم المتخيّل الّذي هو عالم النّصّ (سعيد يقطين، 2001 ، ص 45).

وتقوم العلاقة بين زمن القصّة، وزمن الخطاب على أساس التّعارض والاختلاف، فزمن القصّة يشمل كلّ ما هو تاريخيّ تدلّ عليه مؤشّرات الرّواية وما توحي به من نشاط ومغامرات وأفعال تقوم بها الشّخصية الرّوائية، وبهذه الرؤية يتجاوز الزّمن المسار الخطي والتّتابعي المألوف ليغدو نسيجًا معقّدًا تتضارب فيه الأشكال والمسافات (عبد الرّزاق بن دحمان،2013، ص، 39)، وهذا ما يسمّيه "ريكور" "التّجربة التّخييلية للزّمن " التّجربة المفترضة للكائن حول العالم المقترح بواسطة النّص، وبهذا ينفلت العمل الأدبي من الانغلاق الذّاتي"(سعيد يقطين، 2001، ص 45) ويصبح عملًا دالًّا على معايشة وجوديّة للزّمن الآخر.

والكتابة الرّوائيّة، تتعامل مع المركّب الزّمني كمكوّن تقنيّ ومعرفيّ، يدمج عوالم تخييليّة ضمن مبنىً حكائي، يزاوج بين سلطة التّاريخ كخطاب مهيمن عايشته الجماعة البشريّة، وبين إرغامات سرديّة تعيد تشكيل الواقع تشكيلًا رمزيًّا له فضاءاته الإنزياحيّة، ومن هذه الزّاوية يلتقي الخطابان (التّاريخي والرّوائيّ) في مساحة مشتركة أساسها، رسم الواقع وإعادة تمثيل الحياة (عبد اللّطيف محفوظ، 2006، ص 14)، فقراءة التّاريخ في الرّواية يدخل الكتابة الرّوائية حلقة زمنيّة محكومة بوضع جدليّ يتصارع معه الرّوائي من أجل تصوير حقيقة الماضي بذاكرة الحاضر.

وما يهمّنا في هذا البحث هو حضور الوجود الزّمني للقارىء، وما دامت الرّواية تبحث عن دلائل وجوديّة خاصّة، فهي من جانب آخر تعدّ تكوينًا جماليًّا لمستويات انطولوجيّة تسائل الهويّة التّاريخيّة عن طريق الحكي أو العودة إلى الزّمن التّاريخي، قصد مساءلة الهويّة التي هي" علامة هادية إلى الوجود العيني للذّات وظهور لها في الزّمان (بول ريكور،2009 ، ص 101).

المبحث الثّالث: غبار 1918 ما بين الرّواية والتّاريخ

المتصفّح لرواية غبار 1918، للدّكتورة فاتن المرّ، الصّادرة عن دار أبعاد عام 2019 ، ، يجد فيها إحساسًا قويّا بالتّاريخ والتّراث، حاولت فيها الكاتبة أن تنفض الغبار عن ذاكرتنا كي لا ننسى تاريخنا المخضّب بالدّم والموت، فرجعت إلى لحظات في الماضي جعلت منها سندًا في مواجهة الحاضر. فالرّواية تعود بنا إلى حقبة زمنيّة مفصليّة من تاريخ لبنان وسوريا، تمتّد أحداثها من فترة الاحتلال العثماني المتسلّط للبنان، وحتّى مرحلة الانتداب الفرنسي وما رافقه من أوضاع سياسيّة واجتماعيّة واقتصاديّة، وقفت فيها الرّوائيّة على رقعة التاريخ، وعبرت إلى تلك التّخوم البعيدة من ذاكرة الإنسان، فأعادتنا إلى ما فعله العثمانيّون في بلادنا، وما عانته الطّائفة الأرمنيّة والأشوريّة، وما عاناه كلّ أهلنا وأجدادنا في تلك المرحلة من ظلم وألم وجوع وموت، تلك المرحلة الّتي تشرّد فيها النّاس هائمين على وجوههم بين الجثث المكوّمة على الطّرقات، وأنين المرضى وعويل الجائعين (على حدّ تعبير الكاتبة)، فتحوّلوا بفعل هذا الواقع المرّ إلى أناس أنانيّين متوحّشين تملّكت منهم غريزة البقاء، ونسوا كلّ قيمهم الاجتماعيّة والأخلاقيّة وأغلقوا الأبواب بوجه الأهل والأصدقاء: " "كان الجوع الّذي بدأ ينتشر قد أخذ يغلق

DOI: 10.33193/JALHSS.56.2020.156
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (56) August 2020
العدد (56) أغسطس 2020

الأبواب كلّها في وجه الأهل والأصدقاء، وكانت غريزة البقاء تتجلّى في أنانيّة شرسة لا تابه بتاريخ العلاقات بين أبناء العائلة الواحدة ، والحيّ الواحد".

وهذا ما أبكى جبران خليل جبران الّذي قال فيهم "ماتوا صامتين لأنّ آذان البشريّة قد أغلقت دون صراخهم، ماتوا لأنّهم لم يحبّوا أعداءهم كالجبناء ولم يكرهوا محبّيهم، ماتوا لأنّهم لم يكونوا مجرمين، ماتوا لأنّهم لم يظلموا الظّالمين، ماتوا لأنّهم كانوا مسالمين، ماتوا جوعًا في الأرض الّتي تدرّ عسلًا. ماتوا لأنّ النّعبان الجهنميّ التهم كلّ ما في حقولهم من المواشي وما في أحراجهم من الأقوات".

حاولت الكاتبة أن تكتب التّاريخ بطريقتها الخاصّة، فلم تكن روايتها كتابًا مصقولًا في التّاريخ، بل كانت مصباحًا يضيء التّاريخ عبر انفتاحها عليه، فجعلتنا نرى وقائعه وأحداثه ومشاهده من منظورات متباينة وزوايا متعدّدة، قلبت أحداث التّاريخ، ورصدت ما لم يقله التّاريخ الرّسمي، نظرت في المغيّب والمسكوت عنه، فجاءت فصول الرّواية، لتزيح الغبار عن بعض الأحداث التّاريخية الّتي تمّ تضليلها وتغطيتها، كبعض المعاهدات الّتي درسنا أسبابها ونتائجها في كتب التّاريخ وغاب عنّا ما رافقها من تغيّرات وتحوّلات داخل المجتمع، وما حيكَ من مؤامرات قبلها وبعدها، كما كشفت عن بعض الشّخصيّات البارزة الّتي كان لها عظيم الأثر في ساحات الوغى وصناعة التّاريخ، وقد أغفلت مناهجنا عن ذكرها، فسلّطت الكاتبة الأضواء عليها لنسمع بين سطور الرّواية دويّ أصواتهم ووقع هتافاتهم في ساحات المعارك والبطولات، أمثال ماري العجمي الّتي جعلت من بيتها انطلاقة للثّورة، وعبد الرّحمن شهبندر وسلطان باشا الأطرش ويوسف العظمة وهنانو، والخاشقجي، وحسن الخرّاط أحد قادة الثّورة السّورية الكبرى الّذي قال فيه يوحنّا بطل الرّواية: "أحتفظ إلى اليوم بصورة له قصصتها من إحدى الجرائد الّتي كانت تعلن عن الجائزة، وضعتها في إطار نحاسيّ على أحد رفوف مكتبتي، أحاورها من وقت إلى آخر، أطرح عليها الأسئلة الموجعة، أطمئنّ إلى مصير وطن سيظلّ فيه النّور، من جيل إلى جيل، رجل مثله يرفع هامته فتنجلي ظلمات الخيانة والغدر. لمَ يكون من مثله وحيدًا؟ لم تتضافر الظّروف لتوقع به؟ لم يموت باكرًا جدًّا ؟ بينما يستمرّ الآخرون في سرقة الهواء الّذي نتنفّسه... ؟ وغيرهم من الشّخصيّات الّذين سجّل التّاريخ مواقفهم وبطولاتهم.

استطاعت فاتن المرّ أن تتعامل مع التّاريخ تعاملًا روائيًّا، فأعادت دمج الماضي مع لحظة الكتابة، وتحوّل الماضي التّاريخي إلى إبداع، وإلى وقفة جماليّة خاصّة تقلب التّاريخ لتجعله ديمومة حيّة متواصلة في كيان البشر.

لقد تحول التّاريخ في غبار 1918 إلى مرآة نرى من خلالها الحاضر والواقع القائم، ونحاول فهمه لنستمدّ منه القوّة في مواجهة كلّ ما نتعرّض له في يومنا هذا من احتلال وقتل وظلم وتشريد ، حيث يتردّد صوت حسن الخرّاط في مسامعنا:" أيّها العرب السّوريّون، تذكّروا أجدادكم وتاريخكم وشهداءكم وشرفكم القوميّ، تذكّروا أنّ يد الله مع الجماعة، وأنّ إرادة الشّعب من إرادة الله، وأنّ الأمم المتمدّنة النّاهضة لن تنالها يد البغي..."

فما حصل في الحرب العالميّة الأولى حصل وما زال يحصل في لبنان وسورية واليمن والعراق وليبيا ومصر وغيرها من الدّول. والمهمّ وسط كلّ هذه الاحتلالات والانتدابات والخيبات أن نجعل صوت الحق مدوّيًّا ونقف وقفة عزّ وإباء لنغيّر وجه التّاريخ.

وهذا ما ختمت به فاتن المرّ روايتها: "في وطني نحيا رغم أنف من يختارون لنا كلّ حقبة بعد أخرى أساليب جديدة للموت ، نكتب أو نغنّي، أو نصاب بالجنون حتّى لا نموت."

الخاتمة:

استطاعت فاتن المرّ أن تتخلّص من عقدة الفنّ الخالص، وشيّدت عالما روائيّا قائمًا على اتّخاذ التّاريخ مادّة للسّرد، وإعمال الخيال في تقديم المادّة التّاريخية، فنجحت في استرجاع التّاريخ العربي في مرحلة زمنيّة امتدّت من فترة الاحتلال العثماني المتسلّط للبنان، وحتّى مرحلة الانتداب الفرنسي، وبعثت فيه روح المغامرة والتّشويق، وانتقلت إلى فضاءات إبداعيّة أحدثت فيها الرّواية نقلة جماليّة وفكريّة التقت فيها الرّواية بالتّاريخ، أو بالأحرى، لامست عمق التّناغمات والمفاصل الجماليّة الّتي يلتقي فيها السّرد الرّوائي بالتّاريخ كرؤية حداثويّة كاشفة لكينونة الإنسان في مرحلة زمنيّة تراجعت فيها القيم الإنسانيّة، فهي لم تكتب الرّواية التّاريخيّة لأجل التأريخ، ولم تستحضر التّأريخ، بهدف فهمه، أو الرّغبة في فكّ رموزه، بل من أجل فهم قضايا رهن الحاضر، فالواقع الإجتماعي والأمني المعقّد الّذي نعيشه اليوم، وتفاقم الأزمات النّفسية، وغموض آفاق المستقبل، كلّ هذه المعالم جعلت الكاتبة تستحضر الوتد التّاريخي، علّه يخلق تصوّرات ومواقف تعيد تأسيس الحاضر، وهذا ما قرأناه بصورة جليّة، في رواية غبار 1918.

DOI: 10.33193/JALHSS.56.2020.156
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (56) August 2020
العدد (56) أغسطس 2020

لقد حاولت الكاتبة من خلال هذه الرّواية نمذجة الواقع وتعميمه فنّيًا، فلم يعد المتخيّل الرّوائي انزياحًا لغويًا وفكريًا أو مطارحة تعبيريّة، بل أصبح رؤية للكون والحياة في أعمق صورها.

النّتائج:

خلص هذا البحث إلى النّتائج الآتية:

- الرّواية التّاريخية نمط وتشكيل روائيّ له خصوصيّته ومرجعيّته الخاصّة، ذلك أن هذا النّوع من الرّواية هو الإطار المعرفي الوحيد الّذي تظهر فيه أهمّيّة الزّمان والمكان بشكل جليّ وعميق، فالرّوائي يعيش تجربة الزّمن، من حيث هو وعاء وجوديّ يفصح عن الرّؤية التّاريخية للكاتب وعن رؤيته للإنسان.
- تتعامل الرّواية مع التّاريخ تعاملًا، يطمح الرّوائي من خلاله إلى إعادة تركيب جملة التّصوّرات والأفكار، قصد خلق اللّحظة الرّوائية الّتي تمكّن المتخيّل السردي من وضع استراتيجيّة جماليّة، تؤسّس للفعل الرّوائي ،فتمنح الكاتب مساحات تدعوه بأن يستحضر أساليب بناء الخطاب الروائي علّه يخلق تصوّرات ومواقف تعيد تأسيس الحاضر من جديد.
- العلاقة القائمة بين الرّواية والتّاريخ هي العلاقة القائمة بين الذّاكرة الإبداعيّة المفتوحة على تخوم الذّات والرّؤية الجماليّة المشتغلة على خطاب التّاريخ كمعرفة وإنجاز إنساني.
- إنّ معرفة الرّوائي لوضعه داخل منظومة التّاريخ هو ما يحقّق على مستوى السّرد فاعليّة الرّواية المستلهمة للتّاريخ، وهذا ما قرأناه بصورة جليّة، في رواية "غبار 1918" للكاتبة فاتن المرّ.

التّوصيات:

لقد عالج هذا البحث إشكاليّة قراءة التّاريخ في رواية "غبار 1918" انطلاقًا من بعض التّحديدات كاستظهار فكرة الزّمن في بعده الوجودي والفلسفي، وتأمل الباحثة أن يتّخذ بعض الباحثين من هذه الرّواية مسارات بحث جديدة لما تحتويه من دروس واقعيّة لتاريخ لبنان والشّام وفلسطين، دروس صادقة تحمل معاني التّفاعل الحقيقي بين أجزاء الوطن، فالرّواية عمل فنيّ بامتياز، فيها الكثير من الرّؤى الجديدة الّتي تؤسّس لحياة الأمّة وبقائها.

المصادر والمراجع

المصدر:

1. فاتن المرّ،2019، "غبار 1918 " دار أبعاد للطّباعة والنّشر والتّوزيع، لبنان، بيروت.

المراجع:

2. سعيد يقطين، 2001، انفتاح النص الروائي ،المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء، المغرب.
3. سيزا قاسم، 1984، بناء الرّواية العربيّة، القاهرة، الهيئة المصريّة للكتاب.
4. شكري ماضي، 2013، في نظريّة الأدب، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، لبنان.
5. عبد الحميد القط،1981، بناء الرواية في الأدب المصري الحديث، دار المعارف، القاهرة.
6. عبد الرّزاق بن دحمان، 2013، الرّؤية التّاريخيّة في الرّواية الجزائريّة المعاصرة، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة "دكتوراه العلوم " في " النقد الأدبي الحديث " إشراف الدّكتور الطّيب دربالة، الجزائر.
7. عبد السلام أقامون، 2010، الرواية والتاريخ ،دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت.
8. عبد اللّطيف محفوظ، 2006، آليات انتاج النص الروائي ، منشورات القلم المغربي، المغرب.
9. محمّد رياض وتار،2002، ، توظيف التّراث في الرّواية العربيّة، منشورات اتّحاد كتاب العرب، دمشق.
10. محمّد القاضي، 2008، الرّواية والتّاريخ، دراسة في تخييل المرجعي، دار المعرفة للنّشر، تونس.
11. نضال الشّمالي، 2006، الرّواية والتاريخ، بحث في مستويات الخطاب في الرّواية التّاريخية العربيّة، عالم الكتب الحديث، الأردن.

المراجع الأجنبيّة المعرّبة:

12. بول ريكور، 2009، الهوية والسرد، ترجمة حاتم، الورفلي، أحمد عبد الحليم عطية ، دار التنوير، بيروت.

DOI: 10.33193/JALHSS.56.2020.156
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (56) August 2020
العدد (56) أغسطس 2020

13. جورج لوكاتش، 1986، الرواية التاريخية، ترجمة صالح جواد الكاظم، دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة، العراق، بغداد.

المراجع الأجنبيّة:

14. Pierre- Louis Rey, 1992, Le roman, France..

المجلّات والدّوريّات:

15. عبد الفتاح، الحجمري، 1997، مجلّة فصول مج 16، ع 2 ، القاهرة.

References

1. Faten Al-Murr, 2019, "Dust 1918", Abaad House for Printing, Publishing and Distribution, Lebanon, Beirut.
2. Saeed Yektan, 2001, Openness of the Narrative Text, The Arab Cultural Center, Casablanca, Morocco.
3. Siza Qassem, 1984, Building the Arabic Novel, Cairo, Egyptian Book Authority.
4. Shukri Madi, 2013, in the theory of literature, Arab Institute for Studies and Publishing, Lebanon.
5. Abdel Hamid Al-Qatt, 1981, building the novel in modern Egyptian literature, Dar Al-Maarif, Cairo.
6. Abdel-Razzaq Bin Dahmane, 2013, the historical view of the contemporary Algerian novel, a thesis submitted for a PhD of Science in "Modern Literary Criticism" supervised by Dr. El-Tayeb Derbala, Algeria.
7. Abd al-Salam Aqamoun, 2010, the novel and history, United New Book House, Beirut.
8. Abdellatif Mahfouz, 2006, Mechanisms for producing the narrative text, Moroccan pen publications, Morocco.
9. Muhammad Riyad Wattar, 2002, "Employment of Heritage in the Arabic Novel", Publications of the Arab Writers Union, Damascus.
10. Mohamed El-Kady, 2008, Novel and History, A Study in Imagining Marjaiy, Dar Al-Maarefa Publishing, Tunisia.
11. Nidal Al-Shamali, 2006, The Novel and History, Research in the Levels of Discourse in the Arab Historical Novel, Modern World of Books, Jordan.
12. Paul Ricoeur, 2009, Identity and Narration, translated by Hatem, Al-Warfalli, Ahmed Abdel Halim Attia, Dar Al Tanweer, Beirut.
13. George Lockach, 1986, the historical novel, translated by Saleh Jawad Al-Kazim, General Cultural Affairs House, Iraq, Baghdad.
14. Pierre- Louis Rey, 1992, Le roman, France ..
15. Abdel-Fattah, Al-Qasmari, 1997, Chapters Magazine, Vol. 16, No. 2, Cairo.